اسم الإشارة رابطاً في التعقيبات القرآنية

دراسة وصفية تحليلية

الأستاذ: مراد العرابي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة البليدة 2

Abstract:

This work represents an attempt to study the important role played by the Arab demonstrative pronouns in linking parts of speech in the language of the Arabs in general, and in the Koran, especially, where the activation of an integrated system of methods to achieve the highest form of cohesion script. It also seeks to describe the part of the regular employment of this type of connection methods in the Koran, which represents a stylistic phenomenon worthwhile in many ways, especially from synthetic side.

يمثّل هذا العمل القائم على التّوليف بين الوصف والتّحليل محاولةً لإلقاء الضوء على الدّور الهام الذي تقوم به أسماء الإشارة في الرّبط بين أجزاء الكلام في سائر كلام العرب، وفي كتاب الله تعالى بوجهٍ خاصّ، وفي أسلوب التّعقيب بوجهٍ أخصّ، حيث يتم تفعيل منظومة متكاملة من الأساليب لتحقيق نموذجٍ أعلى للتّماسك النّصي. كما يسعى أيضاً لوصف جانب من التّوظيف المطّرد لهذا الضّرب من وسائل الرّبط في تعقيبات القرآن الكريم، وهو ما يشكّل بحقّ ظاهرة أسلوبية جديرة بالعناية من جوانب عدّة، وبالأخصّ من الجانب التّركيبي.

وإذا كانت المصطلحات هي مفاتيح العلوم، فإن بلوغ هذا كلّه لا يستقيم إلا بالوقوف على مفاتيحه ممثّلةً في مصطلحي "اسم الإشارة" و" التّعقيبات القرآنية "، وذلك ضمن الإطار الذي يسمح به المقام في هذه العجالة.

أمّا **اسم الإشارة** فهو اسمٌ مبهمٌ موضوعٌ لمشارٍ إليه إشارةً حسّية بأحد الأعضاء [1]، أو هو اسمٌ يعيّن مدلوله تعيينًا مقرونًا بإشارة حسيّة إليه[2]. وتتعدّد أسماء الإشارة في كلام العرب، فمنها ما يدلّ على الإفراد أو التّثنية أو الجمع، مع مراعاة جوانب أخرى كالتّذكير والتأنيث والعقل. ومنها ما يدلّ على القرب أو البعد أو التّوسّط بينهما [1].

---

[1] – جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج1، ص 67

[2] – للاستزادة ينظر: النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، ط15 ، ج1، ص 321.

والأصل في استعمال سائر أسماء الإشارة أن يكون المشار إليه شيئًا محسوسًا مشاهداً، قريباً أو بعيداً، ولكنها تُستعمل أيضاً للإيماء لغير المحسوس قصد تصييره في منزلة المشاهَد [2]، وقد جاء ذلك في التّنزيل في مواضع كثيرة كما في الإشارة إلى الجنّة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾ (مريم، 63). ومنه ما جاء في الإشارة إلى يوم القيامة في قوله جلّ من قائل: ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج، 44). ومنه أيضاً ما جاء في الإشارة إلى الله تعالى في قوله : ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام، 95). وكلّ ذلك مما لا سبيل إلى إدراكه بالمشاهدة أو بسائر الحواس.

وأمّا مصطلح **التّعْقيب** فهو في اللغة مصدر الفعل عقّب، وهو فعل مُضعّف الوسط يدلّ في أصله على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره [3]. وهو في الاصطلاح ذلك الجزء أو المقطع المستقل الذي يذيّل الآية الكريمة، زيادةً في البيان ومحافظة على وحدة الإيقاع [4]، وتحقيقاً لأغراض الخطاب من ثناءٍ على الله تعالى، وأمرٍ ونهي، ووعدٍ ووعيد، ومدحٍ وذمٍّ... وغير ذلك من سائر المعاني، كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ تعقيباً على الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة، 74)، أو تعقيباً على قوله أيضاً: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : 144).

والواقع أن وصف التّعقيب بكونه مقطعاً مستقلاً يقتضي الفصل بينه وبين ما يسبقه باعتبار أن القول إذا استكمل آلته، واستتمّ معناه فالفصل عنده [5]. وذلك ما يفسر طبيعة الوقف القائم بين جملة التعقيب وما قبلها من الآية الكريمة والذي لا يخرج عن التّمام في الأعمّ الأغلب، أو الكفاية في تعقيب بعض الآيات[6]. ولذلك يُبدِع الأسلوب القرآني في توظيف طرائق خاصّة لإقامة ضرب بديع من الفصل الموصول الذي يحرص على تماسك أجزاء النّصّ فتبدو للناظر كالآية الواحدة، بل وكالجملة الواحدة. وإذا تتبّعنا ما ترد عليه أغلب تعقيبات الكتاب العزيز فإنها لا تخرج عن جملة من الأحوال، ولعل أهمها أن يرد التّعقيب عارياً من كلّ ما يدلّ على العطف

---

1 – نفسه، ص 321.

2 – الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تح : عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 123.

3 – ينظر : معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج 4، ص77.

4 – ينظر: التناسب البياني في القرآن الكريم : أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص91.

5 – كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ، ص 440.

6 – الوقف الكافي في عُرف علماء القراءات هو ما يحسُن القطْع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا تعلّق بينه وبين ما قبله من الآية الكريمة، كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان، 29)، فقد جاء المقطع الأول من الآية الكريمة حكايةً لكلام الظالم، وهو أُبَيّ بن خلف، ثم يلي ذلك التّعقيب ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴾، وهو من كلامه ﷻ وبينهما تمام الانفصال، ولذلك فإن الواو في هذا الموضع للاستئناف، ولا يصحّ أن تكون للعطف وذلك لفساد المعنى، كما يكون الوقف تامّاً، يجوز عنده قطع التلاوة، لأنه لا تعلّق بينه وبين كلامه ﷻ. ومن هذا الضّرب أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل، 34)، فإن المقطع الأول من الآية الكريمة جاء حكاية لكلام بلقيس، وأما التعقيب ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فهو من كلامه ﷻ، ولا تعلُّق بينهما، ولذلك كان الوقف في هذا الموضع تامّاً. أما الكافي فهو الذي يحسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلّقٌ به من جهة المعنى دون اللفظ، وكذلك كلّ كلامٍ قائمٍ بنفسه يفيد معنى يُكتفى به، فالقطع عليه كافٍ، وتفاضله في الكفاية كتفاضل التّام سواء. للاستزادة ينظر :

– المكتفي في الوقف والابتداء : أبو عمرو الداني، تح : محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط 1، 2001م، ص 7 وما بعدها.

أو حتى الاستئناف، وذلك أكثر ما يكون عليه أسلوب التّعقيب، وفي هذه الحالة يوظّف الأسلوب القرآني " إنّ " المشبّهة بالفعل ويُسخّر دلالتها للربط بين جملة التّعقيب وما يسبقها من الآية الكريمة ربطاً عجيباً. وقد نبّه إلى ذلك الجرجاني، فقال : "اعلم أن من شأن " إنّ " إذا جاءت على هذا الوجه، أن تغني غناء " الفاء " العاطفة مثلا، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمرا عجيباً. فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، ومقطوعاً موصولاً معاً. أفلا ترى أنك لو أسقطت " إنّ " من قوله : " إنّ ذاك النجاح في التبكير "، لم تر الكلام يلتئم، ولرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيلٍ حتى تجيء بالفاء فتقول: " بكرا صاحبي قبل الهجير، فذاك النجاح في التبكير " [1].

كما قد يوظّف الأسلوب القرآني وسائل أخرى كالرّبط بواو الاستئناف ، وهي الواو التي يُراد بها استئناف كلامٍ جديد، غير مرتبط بالكلام السابق [2]، وذلك شائع جداً في موضع التّعقيب، قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة، 38). أو كالرّبط بفاء الاستئناف، وهي أقل الأساليب استعمالاً بالنّظر إلى الأساليب السّابقة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص، 40)، ومنه أيضاً ما جاء مكرّراً في سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

وقد يوظّف الأسلوب القرآني بعض الأدوات الأخرى في حالات معدودة ويُسَخّر دلالتها لوصل جملة التّعقيب بما قبلها من الآية الكريمة ربطاً في غاية الحسن، كاستعمال " بل "، وهي " حرف يفيد الإضراب عن المعنى الأول وإثبات الثاني ، فهو يقطع ويفصل، ولأن إثبات الثاني لم يجيء إلا بإبطال الأول ، فهو مرتبط به موصول بوجوده ، أي أنه فصل موصول ، أو قطع مربوط"[3]، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان، 11)، ومنه أيضاً قوله : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ (الفتح، 11). كما يستعمل الأسلوب القرآني " بلى " في بعض المواضع القليلة ، وهي حرف جواب لا تقع إلا بعد نفي فتكون ردّاً له، سواء اقترنت به أداة استفهام أو لا [4] ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف، 33). وقد يستعمل " ألا " الاستفتاحية، ربطاً للاحق بالسابق، وتوجيهاً للذّهن وتنبيهاً له إلى طبيعة المضمون المهمّ [5] الذي يحتويه التّعقيب، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود، 18).

وقد يجمع بين بعض الأساليب السّابقة كالجمع بين " إن " المشبّهة بالفعل وواو الاستئناف، إذ يحصل من اجتماعهما من التّوكيد وحسن النّسق ما لا يخفى، ويمكننا تأمّل ذلك بوضوح في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال، 42). ومن ذلك أيضاً: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ

[1] – دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تح : محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة ،ط 3 ، 1992، ص 273.
[2] – البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص 582.
[3] – الفصل والوصل في القرآن الكريم: منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط 2، ص 178 .
[4] – ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين المرادي ،تح : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1992م، ص420، 421.
[5] – ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 2، ص 25.

أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة، 49). وقد يجمع بينها وبين " أَلَا " الاستفتاحية، كما في تعقيب قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى، 5)، ومنه أيضاً : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (الشورى،45).

الرّبط بأسماء الإشارة في التّعقيبات القرآنية :

إلى جانب ذلك كلّه يكثّف أسلوب التّعقيب من حضور بعض أسماء الإشارة وصلاً لآخر الكلام بأوّله، وتحقيقاً لبعض مقاصد البلاغة، يقول تعالى : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ **ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ (الشورى، 22)، فقد جيء باسم الإشارة في هذا الموضع تحقيقاً لأمرين أساسيين:

– أولهما إحكام الرّبط بين جملة التعقيب وسياق الآية قبلها، فكان في توظيف " ذلك " إشارة إلى مضمون قوله تعالى: ﴿ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

– أما الثاني، فهو الدلالة باسم الإشارة الخاص بالبعيد على كون المشار إليه بعيد المكانة بُعد ارتفاعٍ مجازي، وهو الشرف [1].

وتشتد الحاجة إلى هذا الضّرب من التوظيف قصد إحكام الربط بين قسمي الآية الكريمة حين يطول الكلام، وتلك عادة العرب في كلامها، إذ يُؤتى باسم الإشارة ربطاً للاحق بالسابق إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علّة أو نحوهما [2]، من ذلك ما جاء في بعض شعر النابغة الذّبياني يعتذر من ملك الحيرة النّعمان بن المنذر، يقول [3]:

أتـاني أبيْت اللعنَ أنكَ لمتني وَتلك التي تستك منها المسامعُ
مقـالـة أن قد قلت سوف أنالُهُ وذلك من تـلقـاءِ مثلـك رائـعُ

فإن الإشارة بـ " ذلك " في عجز البيت الثاني تعود على المقولة الواردة في صدر البيت الأول، وهي قوله: " أتاني أبيت اللعن أنك لمتني "، وبين الموضعين بُعدٌ ظاهرٌ، فلا يستقيم بينهما سَبْكٌ حَسنٌ إلا بتوظيف ما يقدّمه اسم الإشارة من قدرة على الربط بين أقسام الكلام المتباعدة. ولأجل ذلك جيء باسم الإشارة في تعقيب قوله تعالى : ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء، 162). كما جيء به أيضاً تحقيقاً للغاية نفسها في تعقيب قوله أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞ لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأنفال، 36 – 37).

وإذا كان حضور بعض أسماء الإشارة آكد في تعقيب الآيات الكريمة حين تتباعد أجزاء الكلام فإن هذا الحضور يصبح ضرورة لا يستقيم سبكٌ إلا بها في تعقيبات القصص، ولذلك تشتدّ الحاجة إلى هذا الضّرب من الرّبط بعد عرضٍ مفصّلٍ لجانب من قصة خليل

[1] – ينظر : التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج 25، ص 80
[2] – ينظر : نفسه، ج 2، ص 126.
[3] – ديوان النابغة الذبياني: عناية وشرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005، ص 76.

الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، وهو ما يفسّر الحضور الثلاثي لاسم الإشارة في تعقيب واحد، في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ** هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ **أُوْلَئِكَ** الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ۞ **أُوْلَئِكَ** الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام، 88 – 90). وقد ذهب أهل التّفسير إلى أن الهُدى المشار إليه في التّعقيب السّابق، والذي أضيف إلى لفظ الجلالة تكريماً وتشريفاً عائدٌ على أفعال الهداية الثلاثة التي جاء ذكرها في الآيات السّابقة في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ **هَدَيْنَا** وَنُوحاً **هَدَيْنَا** مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام : 84)، وقوله بعد ذلك : ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ **وَهَدَيْنَاهُمْ** إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الأنعام، 87)[1].

والواقع أن الهدى المشار إليه يمتدّ إلى مواضع أبعد من ذلك في السورة الكريمة، في قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ (الأنعام، 80)، وقوله بعد ذلك: ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام، 82)، ولا يُتوقّع أن يستقيم بعد ذلك ربطٌ بين كلّ هذه الأجزاء المتباعدة دون توظيف ذلك القدر من أسماء الإشارة.

ولذلك تشتد الحاجة أيضاً إلى هذا الربط الوثيق بتوظيف عدد أكبر من أسماء الإشارة في تعقيب واحد جاء بعد عرضٍ مفصّلٍ لمجموعة واسعة من قصص أنبياء الله تعالى ومعاناتهم مع أقوامهم ممثّلة في نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام. وقد كان من الحتمي بعد طول الكلام في تفاصيل القصّ أن يحتاج تعقيب ذلك كلّه إلى أكثر من رابط يربط اللاحق بالسابق، ولا يكون ذلك إلا بأسماء الإشارة، يقول تعالى:﴿ **ذَلِكَ** مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ **وَكَذَلِكَ** أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞ إِنَّ فِي **ذَلِكَ** لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ **ذَلِكَ** يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ **وَذَلِكَ** يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۞ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود ، 100-104).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسماء الإشارة تتفاوت في حضورها في موضع التّعقيب إذ أن بعضها لم يرد سوى في مواضع معدودة جدّاً، كـ " تلك " التي ترد في العرف اللغوي للإشارة إلى المفرد المؤنث، وقد وردت في بعض التّعقيبات، منها قوله تعالى : ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد، 35)، أو كـ " هذا " الذي يُشار به في العادة إلى الحاضر من المفرد المذكّر: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية، 20). وفي مقابل ذلك فإن أسلوب التّعقيب يكثّف من حضور بعض أسماء الإشارة، ويتعلّق الأمر باسمين اثنين، هما : أولئك وذلك.

– أولئك في التّعقيبات القرآنية :

1- " **أولئك** " اسم إشارة للجمع المذكّر والمؤنّث، ويُشار به غالباً للعاقل، ولكنه يُستعمل لغير العاقل في كلام العرب، كقول الشاعر:

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام.[2]

---

[1] – التحرير والتنوير، ج7، ص 350-351.

[2] – ينظر : جامع الدروس العربية : مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، ط 28، 1993م، ج 1، ص 127

وقد جاء في التّنزيل على هذا الوجه في موضع وحيد، في قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء، 36).

وقد وظّف الخطاب القرآني اسم الإشارة " أولئك " في تعقيبات كثيرة قصد إفادة الربط بين جملة التّعقيب وما قبلها من الآية الكريمة، كما يُراد بتوظيفها الدلالة على البعد مجازاً، وتلك سنّة العرب في كلامها، كقول الحطيئة[1]:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدّوا

وهي عادة القرآن في مقام التّعظيم أو خلافه، ولذلك وصف أهل الفلاح من المتقين في أوّل الكتاب بقوله: ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة، 5)، كما وصف أهل الضّلالة من الإنس والجن بالطّريقة نفسها، فقال: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف، 179). ويبلغ هذا التّكثيف الدّلالي الناتج عن تكرار اسم الإشارة ذروته في بعض الآيات الكريمة فيصف الأسلوب القرآني أحوال أهل النار وما هم عليه من العذاب المقيم بطريقة تجتمع فيها أسماء الإشارة وتتقارب في تعقيبٍ واحد بعد التّذكير بعدد من الآيات العظيمة التي لا ينكرها صاحب عقل، ولذلك جاء التّعقيب مُشبَعاً بمعاني الخزي والتقريع والذّم، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ **أُوْلَئِكَ** الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ **وَأُوْلَئِكَ** الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ **وَأُوْلَئِكَ** أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ ﴾ (الرعد، 5).

ومن المثير للاهتمام أنّ أسلوب التّعقيب يوظّف اسم الإشارة " أولئك" بطريقةٍ نمطيّةٍ ثابتة في جملة التّعقيب، وهي لا تخرج في الأعمّ الأغلب عن صورتين:

– **الأولى** : أن يرد اسم الإشارة في موضع المبتدأ، ويُسند إليه خبرٌ يتمّم معنى الجملة، وتكون الجملة المكوّنة من المبتدإ والخبر تعقيباً مستقلاً في لفظه ومعناه، قائماً بذاته. ويتنوّع خبر " أولئك " فيكون مفرداً ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة، 257)، أو جملة اسمية ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (الجاثية، 9)، أو فعلية ﴿ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (النساء، 18)، وقد يرد شبه جملة من جارٍّ ومجرورٍ ﴿ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾ (إبراهيم، 3). وقد يُفصل بين " أولئك " وبين خبرها بضمير الفصل قصد إفادة معنى الحصر، وذلك شائعٌ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة، 27)، ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف، 179)، ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات، 15)، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر، 19).

– **الثانية** : أن يرد اسم الإشارة في موضع المبتدأ، ويُسند إليه خبرٌ يتمّم معنى الجملة، وتكون الجملة التّامة المكونة من المبتدإ والخبر جزءاً من تعقيب شرطي، فلا يستقيم فيه معنىً إلا بوجود أداة الشّرط " من " وجملتي الشّرط والجواب.

من ذلك قوله : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا **وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (البقرة، 229)، وقوله أيضاً:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ **وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (البقرة، 121).

ويمكن توضيح هذه البنية النّمطية من خلال المخطط البياني التّالي:

[1] – الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1997،3م، ج2، ص 138.

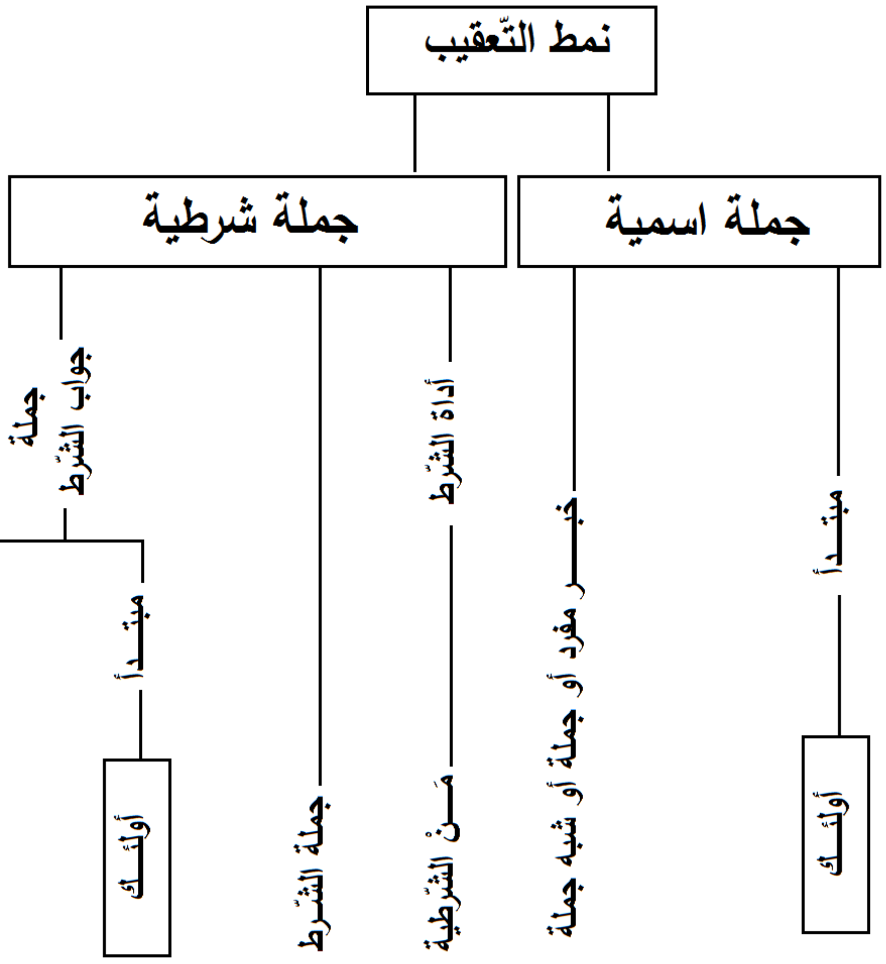

مخطّط توضيحي يبيّن

البنية النّمطية لتعقيبات اسم الإشارة (أولئك) في القرآن الكريم

ولا يخرج الأسلوب القرآني في توظيفه لاسم الإشارة " أولئك " في موضع التّعقيب عن هذا التّركيب النمطي إلاّ في موضعين، جاء في أولهما فاعلاً، وذلك في تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ **أُولَئِكَ** رَفِيقاً ﴾ (النساء، 69). أما في الموضع الثاني فقد جاء اسماً للفعل الماضي "عسى"، وذلك في تعقيب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة، 18).

2- **وأما " ذلك "** فهو اسم إشارة للبعيد[1]، ويتمّ توظيفه في أسلوب التّعقيب ربطاً لآخر الكلام بأوّله ودلالةً على البعد المجازي كما سبق الذّكر، وهي عادة القرآن في مقام التّعظيم، ولذلك أشار الأسلوب القرآني إلى الكتاب العزيز في أول القرآن بقوله : ﴿ألم ۞

[1] – للاستزادة ينظر : جامع الدروس العربية، ج 1، ص 128

ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة، 2) قصد الدّلالة على بعده درجةً، ولذلك أيضاً حكى ما قالته امرأة العزيز بإيراد اسم الإشارة الدّال على البعد:﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (يوسف، 32)، ولم تقل " فهذا "، ويوسف حاضراً، رفعاً لمنزلته في الحسن، واستحقاقِ أن يُحبَّ ويُفتتن به، واستبعادًا لمحله [1].

ويشيع استعمال اسم الإشارة " ذلك " في سياق الوعد والوعيد، ولذلك أورد الأسلوب القرآني قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ في مواضع متعدّدة جاءت كلُّها في سياق الحديث عن جنات النّعيم بأنهارها ومساكنها الطيبة [2]. وفي المقابل يوظّف الأسلوب القرآني اسم الإشارة "ذلك" بالطريقة نفسها قصد الإيغال في معاني الخِزْي في سياق الوعيد بعذاب جهنم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة، 63)، فقد ذكر بعض المفسّرين أن الخطاب القرآني جاء باسم الإشارة " ذلك " في هذه الآية الكريمة قصد الإشارة إلى ما ذُكر من العذاب وإيذاناً ببُعد درجتِه في الهول والفظاعةِ[3].

ومما تجدُر الإشارة إليه أن الخطـاب القـرآني يبدي تنويعاً ملحوظاً في تعقيبات " ذلك " بالنّظر إلى تعقيبات " أولئك "، وهي في الغالب لا تخرج عن أربعة أشكالٍ:

- **أوّلها** أن يرد اسم الإشارة ربطاً للكلام في موضع المبتدأ، ويُسند إليه خبرٌ معرفة يتمّم معنى الجملة كما في الأمثلة السّابقة: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النّساء، 13)، ﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة، 63). وقد يكون الخبر معرّفاً بالإضافة ﴿ وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة، 85)، أو شبيهاً بالمضاف ﴿ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود، 114)، أو شبه جملة ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف، 26)، وقد يمتدّ إلى أشكالٍ أخرى في بعض التّعقيبات.

ويكثر في التعقيبات التي يكون فيها خبر " ذلك " معرّفاً بـ " أل " التّعريف أن يُفصل بين اسم الإشارة وخبره بضمير الفصل[4] قصد إفادة معنى الحصر، ولذلك تكرّر التّعقيب بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ في ستة مواضع[5] تؤكّد أن الفوز الحقيقي محصورٌ في الفوز برضوان الله تعالى، وأن كلّ فوزٍ دونه خسران. كما تكرّر التّعقيب باستخدام اسم الإشارة " ذلك " بالأسلوب نفسه في مواضع أخرى ، وهو ما توضّحه الأمثلة التالية :

﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم، 18)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الحج، 11)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (الحج، 12)

[1] – ينظر: مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبط وتعليق : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.، ج 1، ص 184

[2] – النّساء، 13 – المائدة، 119 – التوبة، 89 – التوبة، 100 – الصّف، 12 – التغابن، 9.

[3] – ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.، ج 4، ص 79.

[4] – هو الضمير الذي قد يتوسط بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، إيذاناً من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا نعت. وهو يفيد تأكيد الحكم، لما فيه من زيادة الربط. وقد سُمّي بضمير الفصل لأنه يؤتى به للفصل بين ما هو خبر أو نعت، لأنك إن قلت "زهير المجتهد"، جاز أنك تريد الإخبار، وأنك تريد النعت. فان أردت أن تفصل بين الأمرين، وتبين أن مرادك الإخبار لا الصفة، أتيت بهذا الضمير للإعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر، لا نعت. للاستزادة ينظر :
– جامع الدروس العربية، ج 1، ص 126.

[5] – التوبة،72، 111– يونس، 64– غافر،9– الدخان، 57– الحديد، 12.

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر، 32)
﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الزمر، 15)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (الشورى، 22)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (الجاثية، 30)

وقد يُراد العناية والاهتمام بالمشار إليه وتمييزه في التّعقيب أكمل تمييز فتدخل " ألا " الاستفتاحية على اسم الإشارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الزمر، 15)، تعقيباً على قوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [1].

- **الثاني** : أن يقع اسم الإشارة في موضع اسم " إن "، حيثُ يُراد توكيد مضمون التّعقيب في بعض السّياقات حين يكون الخطاب موجهاً للمنكرين من أهل العناد والكفر، وذلك مما يناسب سياق الجدل، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ (العنكبوت، 19). وقد يرمي الأسلوب القرآني إلى المبالغة والزيادة في التوكيد فتتّصل لام التوكيد بخبر " إنّ "، وهي اللام المعروفة عند النحاة باللام المزحلقة [2]، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ **إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** ﴾ (ص، 62-64). وقد جاء اسم الإشارة في هذه الآيات الكريمة التي تصور مشهداً عجيباً من مشاهد أهل النار ربطاً للتّعقيب بما يسبقه من جدالٍ أو خصومة بين الرؤساء من أهل الضلال في الدّنيا وأتباعهم. وقد عبّر الأسلوب القرآني عن ذلك بالخصومة لأن قول الرؤساء " لا مرحبا بهم " وقول الأتباع " بل أنتم لا مرحبا بكم " يدخل في باب الخصومة بعد تجاوز مرتبة الجدال [3]. كما أنّ الأسلوب القرآني قد عبر عن هذا الموقف الرّهيب بلفظ الخصومة أيضاً في موضع آخر، مما يدلّ دلالة قاطعة على أنها خصومة على وجه الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (الحج،19). وقد ذكر أهل التّفسير في هذا الموضع أن " توكيد الخبر بحرف التوكيد منظور فيه لما يلزم الخبر من التعريض بوعيد المشركين، وإثبات حشرهم وجزائهم بأنه حق " [4]، تصديقاً لوعده تعالى في مواضع كثيرة: ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (الذاريات، 6) ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (الطور، 7) ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ (المرسلات، 7).

- **الثالث** : أن يرد اسم الإشارة اسماً مجروراً ب " في "، وذلك كثيرٌ في موضع التّعقيب في سياق الحديث عن الآيات التي يتوجّب فيها الاعتبار والموعظة، ولذلك تتصل لام التّوكيد باسم " إن " المتأخّر، وهو في الأعمّ الأغلب لفظ آية مفرداً،كما في تعقيب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ **إِنَّ فِي**

---

[1] – للاستزادة ينظر : التحرير والتنوير، ج 23، ص361.

[2] – اللام المزحلقة : من المؤكدات، فائدتها توكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ، والأصل فيها أن تتصدر الكلام، غير أن اجتماعها مع " إن " في صدر الكلام كان سبب زحلقتها إلى الخبر، لأن اجتماع حرفين بمعنى واحد في مكان واحد لا نظير له، فسُمّيت اللام المزحلقة. للاستزادة ينظر :

– فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية : أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، 2010م، ص 377.

[3] – للاستزادة ينظر:

– التحرير والتنوير، ج 23، ص 294.

– مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1420، ج26 ، ص 405.

[4] – التحرير والتنوير، ج 23، ص 293.

ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة، 248). وقد يرد في صيغة الجمع ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (العنكبوت، 24)، وقد يقوم مقامه في بعض التّعقيبات القليلة ألفاظ مثل :" رحمة " في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت، 51)، أو كلفظ " عبرة " في قوله ﷻ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران، 13)، وجميعها مما يستدعي الموعظة والاعتبار والتّدبّر ، أو كلفظ "ذكرى" في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر، 21).

- **الرّابع** : أن يقع اسماً مجروراً بكاف التّشبيه، حيث يراد بتوظيف " كذلك " الدّلالة على تشبيه شيء بشيء، والمشبه به ظاهرٌ مشارٌ إليه، كقول الشاعر:

فألفيتُ الأمانة لم تخنها   كذلك كان نوحٌ لا يخونُ [1]

ويشيع هذا الوجه من استعمال اسم الإشارة " ذلك " في موضع التّعقيب، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (لأعراف، 57)، ففي التّعقيب بقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ إشارة إلى ما ذُكر من قبل من إرسال الرّياح، وإنزال الغيث، وإحياء البلد الميّت، وإخراج الثمرات. ولا يستقيم ربطٌ بين ذلك كلّه وبين التّعقيب إلا بتوظيف الطاقات التي يقدّمها اسم الإشارة لوصل أجزاء الآية الكريمة.

ولعل تفسير التّنوع الأسلوبي الذي يبديه النّص القرآني في توظيفه لاسم الإشارة " ذلك " عائد إلى سعة دلالته وقدرته على الإشارة إلى المضامين المتنوعة، في مقابل " أولئك " الذي تقتصر دلالته غالباً على ضربٍ واحدٍ مشارٍ إليه ممثّلاً في العاقل من الجمع المذكّر والمؤنث (أصحاب النّار، أصحاب الجنة، المهتدون، المتقون، الغافلون، الفاسقون، الخاسرون...)، وذلك قد يُفسّر البنية النّمطية لتعقيباته.

إن واقع التوظيف القرآني لهذا الضّرب من وسائل الربط في التّعقيبات القرآنية وبذلك التّواتر الكبير يكشف عن يقينٍ عميق بقدرتها على تحقيق التّماسك النّصي في أكمل صوره، وهو ما يجعل من كتاب الله تعالى كلّه كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة. ولعل في استعمالها النّمطي على ذلك النّحو المثير للاهتمام ما يكشف عن جانب خفيٍّ من بعض جوانب الإعجاز في كتاب الله تعالى، وفي لغته الشّريفة مما هو في حاجة إلى كثير من الجهد مما لم يبلغه هذا العمل المحدود زماناً ومكاناً.

---

[1] - ينسب هذا البيت للنابغة وهو مما أنكره الجاحظ، وجعله من منحول شعره، وذلك لان الناس يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال. وذلك مما لا يستقيم مع حال هذا البيت، لأن الخيانة ليست من خلق الأنبياء في سائر أحوالهم وأزمانهم. للاستزادة ينظر :
- أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ، ج2، ص 380.